رواية مصطفى الفقى

◄ د. محمد كمال

من الصعب الكتابة عن مذكرات الدكتور مصطفى الفقى، التى صدرت مع بداية هذا العام تحت عنوان الرواية: رحلة الزمان والمكان، مكمن الصعوبة يعود إلى أن سطور الكتاب لا تعكس مجرد سيرة ذاتية لشخصية نادرة، ارتدت بكل مهارة ويسر قبعات الدبلوماسى والسياسى والبرلمانى، وفوق كل ذلك الكاتب والمفكر. ولكن لأن الكتاب يمثل أيضا شهادة على ثلاثة عصور مرت بها مصر، وتفاعل معها الدكتور الفقى، مراقبا فى عهد الرئيس عبد الناصر، وشاهدا فى عصر الرئيس السادات، ومشاركا فى فترة الرئيس مبارك.

مذكرات الدكتور الفقى، تأخذنا فى رحلة ممتعة وثرية بالمعلومات والتحليل عبر مراحل التكوين والعمل الرئيسية بدءا من سنوات النشأة فى إحدى قرى محافظة البحيرة، ومرورا بالالتحاق بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة، والتى كثيرا ما يلقب الدكتور الفقى بأنه عميد خريجيها، ثم الانضمام للسلك الدبلوماسى، وتجربته فى عدد من العواصم الكبرى مثل لندن ونيودلهى وفيينا، وكيف قام وهو مازال دبلوماسيا صغيرا بالهند فى نوفمبر ١٩٨١، بإرسال برقية إلى الدكتور أسامة الباز، مدير مكتب الرئيس الجديد وقتها حسنى مبارك، ليسلمها له تضمنت رؤيته لمستقبل الحكم وتوصيات يتعلق بعضها بتخلى الرئيس عن رئاسة الحزب وتعيين نائبين له وإعادة تنظيم الأزهر، وتعزيز الوحدة الوطنية.

يتناول الدكتور الفقى، بعد ذلك فترة عمله مع الرئيس مبارك والتى امتدت لثمانى سنوات ويوضح ظروف خروجه من مؤسسة الرئاسة، ثم ينتقل للحديث عن تجربة عمله البرلمانى بمجلس الشعب ثم الشورى، ثم المرحلة التى ترشح فيها لأمانة الجامعة العربية، وأخيرا رئاسته لمكتبة الإسكندرية وتتخلل هذه المراحل فصول عن اللقاءات والانطباعات عن رموز السلطة فى العالم العربى، ونجوم الفكر والفن والآداب، وكذلك تحليل للسنوات الأخيرة لفترة حكم الرئيس مبارك، والمرحلة الممتدة من ٢٥ يناير ٢٠١١ إلى ٣٠ يونيو ٢٠١٣.

الدكتور الفقى، يبدو متصالحاً مع النفس ومع التاريخ، ونجده يتحدث فى مذكراته عن انبهاره بحكم أسرة محمد على بما لها وما عليها. وفى حين يعتبر نفسه من جيل يوليو ١٩٥٢، ويتحدث عن ارتباطه بزعامة جمال عبد الناصر بعاطفة لا تنتهى، إلا أنه ينظر فى نفس الوقت إلى الرئيس السادات كرجل دولة من طراز رفيع، ويعتبره رجل الدولة الثانى بعد محمد على، كما يتحدث عن الخيارات الوطنية التى تبناها الرئيس مبارك فى الكثير من قراراته.

كتاب الدكتور الفقى، يتضمن خيطين رئيسيين يتجاذبان ويتفاعلان طوال الوقت، الأول هو خيط السياسة والعمل العام، والثانى هو خيط الفكر والثقافة، وأحد المداخل لفهم مذكرات وشخصية الدكتور الفقى وخلاصة تجربته يقع فى خاتمة الكتاب والمعنونة تأملات ودروس من الحياة، والتى يتحدث فيها عن الأساتذة الذين تعلم منهم وأثروا فى حياته، وهنا نجد أن اغلبهم كانوا من أصحاب العلم والفكر والثقافة، وليس أهل الدبلوماسية والسياسة، حتى الدكتور بطرس غالى الاكاديمى والدبلوماسى، نجده يتحدث عن أنه تعلم منه كيفية تنظيم الفكر واكتشاف الحجج والحياد عند تفسير الحقائق.

أما القائمة الأكبر ممن أثروا فى حياته فتضم الدكاترة حامد ربيع، وعبد الملك عودة، وزكى شافعى، الأساتذة بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، وينضم إليهم مجموعة من المفكرين والكتاب والفنانين تشمل لويس عوض، وأحمد بهاء الدين، ويوسف إدريس، وصلاح طاهر، ويحيى حقى، وميلاد حنا، بالإضافة لنجيب محفوظ وتوفيق الحكيم وغيرهم.

وهنا تدرك بسهولة أنه بالرغم من مخالطة الدكتور الفقى لكبار رجال السياسة والدبلوماسية، إلا أن عقله وقلبه كان دائما مع أهل الإكاديمية والفكر والثقافة. ويبدو ذلك واضحا منذ سنوات الدراسة، وحصوله على إجازة من عمله الدبلوماسى والاعتماد على مدخراته الخاصة للانفاق على إعداد رسالته الرائدة للدكتوراة حول الاقباط والسياسة المصرية من جامعة لندن، ثم تفكيره الجاد للانتقال من الخارجية للعمل كعضو هيئة تدريس بجامعة القاهرة، ولكنه فى النهاية أخذ بنصيحة أستاذه بطرس غالى، بأنه فى الخارجية يستطيع أن يمارس العمل الاكاديمى بجانب العمل الدبلوماسى، ولكن العكس غير ممكن، فاستمر عطاؤه فى التدريس، وانهمر من عقله سيل من الكتابات المبدعة منها كتابه عن تجديد الفكر القومى، ونهج الثورة وفكر الإصلاح، والإسلام فى عالم متغير، والرؤية الغائبة، وغيرها من الكتب، والمقالات بالعديد من الصحف المصرية والعربية، وكذلك اقتراحه لعقد قمة ثقافة فى إطار جامعة الدول العربية، وحصوله على جائزة الدولة التشجيعية فى العلوم السياسية، وكل من التقديرية والنيل فى العلوم الاجتماعية.

أذكر أنه فى عام ٢٠٠٩، قام أحد هواة الصيد فى المياه العكرة، بإبلاغ الدكتور الفقى أن البعض ممن دخلوا السياسة حديثا فى هذه المرحلة يرددون أنه أخذ فرصته فى الحياة السياسية وليترك دوره لغيره من الأجيال الصغيرة. وكان هذا قولا كذبا. ووجدت وقتها رسالة رقيقة من الدكتور الفقى، خلاصتها أنه لا يتطلع لمناصب، ويبحث عن دور فكرى وليس سياسيا، وأنه يفكر فى ترك موقعه البرلمانى كى يكون كاتبا حرا.

بالتأكيد وبالإضافة لدوره الوطنى فى مجالات العمل العام المتعددة، فإن بصمة الدكتور الفقى الرئيسية سوف ترتبط بعالم الفكر، ويشهد على ذلك الفصل الثامن من الكتاب الذى اختار له عنوان الخروج من الرئاسة ميلاد جديد، وكيف حول هذا الخروج للحظة توهج وليس انطفاء على الساحة الفكرية.

تحية للدكتور مصطفى الفقى، على كتابه الممتع والثرى، وخالص التمنيات له بدوام الصحة واستمرار العطاء العلمى والابداع الفكرى.